**جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1**
**كلية الآداب واللغات**
**قسم الآداب واللغة العربية**

**دروس في مقياس:**

# المدارس اللسانية

**د/ سميرة رجم**

**موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس**

**الفوجان:03-07**

**المحور الأول: لسانيات دي سوسير (قراءة في كتاب محاضرات في الألسنية العامة)**

- **مقدمة:**

يعدّ العالم اللّغوي "فرديناند دي سوسير" مؤسّس علم اللّسانيات الحديث، و يرجع إليه الفضل في إرساء قواعد هذا العلم و تأسيس مدرسة جينيف اللّسانيّة التي كانت منطلقا لكل المدارس اللّسانيّة الأخرى الّتي جاءت بعدها، و ذلك من خلال كتابه القيم "محاضرات في اللسانيات العامة"، و سنتعرّف في هذا الدّرس على مؤسّس اللّسانيات و كتابه.

## 1- فردناند دي سوسير: (F. De Saussure)

إنّ "فردناند دي سوسير" هو أشهر لغوي في العصر الحديث و لد في جينيف بسويسرا عام 1857، من أسرة مشهورة بالعلم و الأدب، درس في جامعة جينيف و لايبزغ و برلين، و حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لابزغ سنة 1880، عمل مدرسا في مدرسة الدراسات العليا في باريس ما بين سنتيّ 1881 و 1891، ثم أستاذ للغات الهندوأوربية و السنسكريتية ما بين سنتيّ 1901 و 1913، و أصبح أستاذا لعلم اللّغة العام 1907 في جامعة جينيف و بقي في هذا المنصب حتى وافته المنية سنة 1913[1].

و من أهم مؤلفات "دي سوسير" كتابه الذي نشره في الواحد و العشرون من عمره عندما كان طلبا في ألمانيا بعنوان: "دراسة حول النظام البدائي للصّوائت في اللغات الهندية الأوربيّة" (Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes) سنة 1878، و يعدّ هذا البحث من أهمّ البحوث التي ساعدت على إعادة بناء اللغة الهندية الأوربية الأولى، أما مؤلّفه الثاني فيتمثّل في أطروحة قدّمها لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: "حالة الجر المطلق في السنسكريتية" (Le génitif absolu en sanskrit) سنة 1881، هذا و قد كتب "دي سوسير" مجموعة من المقالات حول اللغة جمعت كلها بعد موته بعنوان: Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure سنة 1922. و من أشهر مؤلّفاته كتاب: "محاضرات في الألسنية العامة" (Cours De Linguistique Générale) الذي سنقدّم نبذة موجزة عنه فيما يأتي:

## 2- التّعريف بكتاب "محاضرات في الألسنية العامة":

---

[1] - يوئيل يوسف عزيز: علم اللغة العام، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، العراق، دار آفاق عربية. ص3.

كتاب "محاضرات في الألسنية العامّة" هو أشهر و أهم كتاب ل"دي سوسير" هو مجموعة من المحاضرات التي كان يلقيها على طلابه بجامعة جينيف بين سنتي 1906 و 1911[2]، جمعها اثنان من طلابه بعد وفاته و هما "شارل بالي" و "ألبيرت سشهاي"، ظهرت الطبعة الأولى منه سنة 1916 و الطبعة الثانية سنة 1922[3]، و ترجم عدّة ترجمات إلى اللّغة العربيّة، من بينها ترجمة يوئيل يوسف عزيز بعنوان "علم اللغة العام"، مراجعة مالك يوسف المطلبي، صدرت عن دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بالعراق، 1985. و ترجمة يوسف غازي و محمد النصر، بعنوان: "محاضرات في الألسنية العامة"، عن المؤسسة الجزائرية للطباعة، بالجزائر، سنة 1996، و ترجمة عبد القادر قنيني بعنوان: "محاضرات في علم اللسان العام" عن أفريقيا الشرق، بالمغرب، سنة 2008 .

**3- محتوى الكتاب:**

يحتوي كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" لمؤلّفه "دي سوسير" على مقدّمة و خمسة أجزاء يتضمّن كلّ جزء منها عدّة فصول، و هي كما يأتي[4]:

شملت المقدمة سبعة فصول شمل الأول على لمحة عن تاريخ الألسنية في حين عالج الفصل الثاني مادّة الألسنية و مهمتها و علاقتها بالعلوم الأخرى أما الفصل الثالث فقد تناول غرض الألسنية في حين أنّ الفصل الرابع تطرّق إلى ألسنية اللغة و ألسنية الكلام، و تناول الفصل الخامس عناصر اللغة الداخلية و الخارجية و الفصل السادس انطوى على تمثل اللغة كتابة و الفصل السابع تناول التصويتية.

أماّ الجزء الأوّل تناول مبادئ عامة حول الألسنية و حوى ثلاثة فصول كما يأتي:

- الفصل الأول: تناول طبيعة العلامة اللغوية
- الفصل الثاني: تناول ثبوت العلامة و تبدلها
- الفصل الثالث تطرق إلى الألسنية السّكونية و الألسنية التطوريّة

---

[2] - أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012م. ص119.

[3] - يوئيل يوسف عزيز: علم اللغة العام. ص3.

[4] - فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي و محمد النصر، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، سنة 1996.

و أمّا الجزء الثاني فقد تطرّق إلى الألسنية التزامنية و يشتمل على ثمانية فصول كما ياتي:

- الفصل الأول: تناول عموميات حول الألسنية التزامنية
- الفصل الثاني: فقد تطرّق غلى اللغة و كياناتها الحسيّة
- الفصل الثالث: تشابهات حقائق و قيم
- الفصل الرابع: استعرض القيمة الألسنيّة
- الفصل الخامس: درس العلاقات التركيبية و الترابطية
- الفصل السادس: تطرق إلى آلية اللغة
- الفصل السابع: تناول القواعد و فروعها
- الفصل الثامن: تناول دور الكيانات المجردة في القواعد

و حوى الجزء الثّالث موضوع الألسنية التزمنيّة في ثمانية فصول هي:

- الفصل الأول: تناول عموميات حول الألسنية التزمنية
- الفصل الثاني: تناول التغيرات الصوتية
- الفصل الثالث: استعرض النّتائج النّحوية للتّطوّر الصّوتي
- الفصل الرابع: تناول القياس
- الفصل الخامس: تطرّق إلى القياس و التّطوّر
- الفصل السادس: تناول التّأثيل الشعبي
- الفصل السابع: تناول موضوع الإلصاق
- الفصل الثامن: استعرض و حدات و تطابقات و حقائق تزمنية

أمّا الجزء الرّابع فقد اشتمل على موضوع الألسنية الجغرافية، من خلال أربعة فصول هي:

- الفصل الأول: تطرق إلى تنوّع اللّغات
- الفصل الثاني: تناول مضاعفات التّنوّع الجغرافيّ
- الفصل الثالث: استعرض بواعث التنوّع الجغرافيّ
- الفصل الرابع: تناول موضوع انتشار الموجات الألسنيّة

أمّا الجزء الخامس فقد تناول مسائل في الألسنية الاستعاديّة و هو بمثابة الخاتمة، و تضمّن خمسة فصول هي:

- الفصل الأول: استعرض منظور الألسنية التزمنية
- الفصل الثاني: تطرّق إلى اللّغة الأكثر قدما و النّموذج الأصليّ

- الفصل الثالث: تناول إعادة بناء
- الفصل الرابع: استعرض شهادة اللغة على الأنثربولوجيا و ما قبل التّاريخ
- الفصل الخامس: الأسر اللّغوية و النماذج الألسنيّة

**4- أهمّ القضايا الّتي تناولها الكتاب:**

أشار "دي سوسير" في محاضراته الّتي جمعت ضمن كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" إلى قضايا لسانيّة كانت الأساس الّذي أقيم عليه علم اللّسانيّات و أصبحت منطلقا للنّظريّات اللّسانيّة الّتي جاءت بعده، و من أهمّ القضايا الّتي تناولها هذا الكتاب ما يأتي[5]:

**4-1- اللّغة نظام:**

يرى "دي سوسير" أنّ اللّغة نظام و يجب أن تدرس وفق هذا المبدأ، فلا ينبغي أن تأخذ الحقائق معزولة عن بعضها بعض بل إنها دائماً أجزاء من نسق كلي، آخذين في حسابنا أن كل جزء تفصيلي يتحدد تبعا لمكانه من النّظام.

**4-2- اللّغة و الكلام:**

يرى "دي سوسير" أنّ الظاهرة اللّغوية تتمثل في مصطلحات أساسية هي:

- **اللّسان:**

و هو كل ما يتعلّق بكلام البشر، و هو ببساطة لسان أي قوم من الأقوام، و يتكوّن من ظاهرتين أساسيّتين هما: اللّغة و الكلام.

- **اللّغة:**

اعتبر "دي سوسير" اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، و هي كل متكامل كامن في عقول أفراد المجتمع اللّغويّ، و شبهها بالقاموس ؛ حيث يمتلك كل فرد من أفراد المجتمع اللّغويّ نسخة مماثلة منه في ذهنه.

- **الكلام:**

و هو نشاط شخصيّ، حيث يتميّز كلّ فرد بنشاطه الخاصّ، و هو ماديّ في حين أنّ اللّغة مجرّدة، و يختلف الكلام من شخص لآخر و من موقف لآخر.

و أكّد "دي سوسير" أنّ الدّراسة اللّسانيّة تركّز على دراسة اللّغة و تبعد الكلام؛ لأنّ اللّغة عامّة و مركوزة في الذهن و ثابتة، في حين أنّ الكلام ظاهرة محسوسة تتغيّر من فرد لآخر و من موقف كلاميّ لآخر.

---

[5] - فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي و محمد النصر.

**4-3- الدّراسة الآنيّة و الدّراسة التّطوريّة:**

فرّق "دي سوسير" في كتابه بين نوعين من الدّراسة اللّغويّة هما الدراسة التزمنيّة و الدّراسة التزامنيّة، و أقرّ أنّ كلا الدّراستين مهم في الدّراسة اللّسانيّة بشرط أن يتمّ الفصل بينهما. و فيما يأتي تفصيل لكلّ منهما:

**الدّراسة الآنيّة (التزامنيّة): (Synchronique)**

و تدرس أية لغة من اللّغات على حدة دراسة وصفيّة في حالة معيّنة، و لا تقتصر على دراسة اللّغات الحديثة أو الحيّة بل يمكن أن تدرس أيضاً اللّغات الميّتة.

**اللّسانيّات التّطوّريّة (التزمّنيّة): (Diachronique)**

و تتناول بالدّراسة التّغيّرات و التّطوّرات المختلفة الّتي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزّمن، أو خلال حقب متتابعة في الزّمن الماضي. و باختصار فإنّها: «دراسة جميع ما يطرأ من تغيير و انحراف على الوضع اللساني»[6].

**4-4- الدّال و المدلول:**

إنّ اللّغة في نظر "دي سوسير" "مؤسسة اجتماعية" تؤدي وظيفة التّواصل بين أفراد المجتمع، و هي مستودع من العلامات، و تعدّ هذه العلامات وحدة أساسيّة في عمليّة التّواصل بين أفراد مجتمع معيّن، و هي تضمّ جانبين أساسيّين هما الدّال و المدلول ( Signifiant & Signifié):

الدّال: و هوّ الصّورة السّمعيّة الّتي تدلّ على شيء ما أو تعني شيئا ما، و هي ليست الأصوات الماديّة بل هي الأثر النّفسيّ الذي تتركه الأصوات في الحواس.

المدلول: و هو التصوّر أو الصّورة الذهنيّة المجرّدة عن التّصوّر المعنيّ.

و أكّد "دي سويسر" على أنّ العلاقة بين الدّال و المدلول علاقة اعتباطيّة (Arbitraire)؛ أي إنّها عرفيّة غير مبرّرة، و لذلك فإنّ العلامة اللّغويّة تتّصف بصفة الاعتباطيّة، فمثلا فكرة أخت الّتي تمثّل المدلول ليس لها علاقة داخليّة مع الأصوات /أ/خ/ ت/ الّتي تمثّل الدّال، و الاعتباطيّة تفسّر اختلاف اللّغات و تعدّد مدلولاتها.

---

[6] -رونالد إيلوار: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، سوريا، مطبعة دمشق، 1400ه-1980م. ص72.

و قد وصف "دي سوسير" العلامة اللّغويّة بالثّبوت و التّغيّر في آن واحد؛ فهي ثابتة من حيث إنّه لا يمكن لأيّ فرد تغيير أيّة مفردة من مفرداتها، و هي في الوقت نفسه تتغيّر بصورة تدريجيّة عبر الزّمن.

**4-5- العلاقات التّركيبيّة و الاستبداليّة: (Syntagmatique & Paradigmatique)**

إنّ العلاقات التّركيبيّة هي العلاقات الأفقيّة بين الوحدات اللّسانيّة كالعلاقة بين الأصوات في الكلمة الواحدة أو العلاقة بين الكلمات في الجملة، حيث تترابط هذه الوحدات فيما بينها و تكتسب قيمتها من خلال موقعها بين الوحدات اللّغويّة الأخرى.

مثل جملة: "صار الطّقس باردا" هناك علاقة تركيبيّة بين ثلاث وحدات هي صار+ الطّقس+ باردا، و على مستوى المفردات نجد مثلا مفردة "لسانيّات" فإنّ العلاقة بين الأصوات ل+س+ا+ن+ي+ا+ت الّتي تترابط فيما بينها لتشكّل هذه المفردة. [7]

أمّا العلاقات الاستبداليّة فهي العلاقة بين الوحدات اللّغويّة الّتي من الممكن تحل محلّ بعضها في جملة واحدة؛ أي إنّها العلاقة بين وحدة لغويّة موجودة في الجملة و بين وحدة لغويّة أو أكثر موجودة في أذهاننا. مثل جملة: "أصبح الجوّ صحوا" حيث يمكن استبدال كلمة "أصبح" ب: "صار" أو "كان" أمّا على مستوى المفردات فيمكن استبدال الصّوت الأوّل من كلمة نام ب قام، هام، رام، دام.

**خاتمة:**

ختاما نستخلص أنّ كتاب دي سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" هو أوّل كتاب في اللّسانيّات، و قد أرسى، بما احتواه من أفكار لصاحبه، دعائم علم اللّغة الحديث، و أصبح مرجعا أساسيّا لكلّ اللّسانيّين الّذين جاؤوا بعد "دي سوسير"، كما أنّه يعدّ مرجعا لا غنى عنه لكلّ الطّلبة و الباحثين في علم اللّغة الحديث و كلّ العلوم الّتي لها علاقة به.

- **المحور الثاني: حلقة موسكو"رومان جاكبسون"**
- **مقدّمة:**

بعد ظهور أفكار دي سوسير ظهرت عدة مدارس وحلقات لسانيّة سارت على نهجه و بنت أسسها على المبادئ العامّة لمدرسة جينيف و الّتي يمثّلها

---

[7] - أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور. ص130-131.

كتاب "فرديناند دي سوسير": محاضرات في الألسنية العامّة"، و من بين هذه الحلقات "حلقة موسكو" الّتي أسّسها اللّغويّ الرّوسيّ: "رومان جاكبسون" و سنتعرّف على أهمّ ما قدّمه هذا الرّجل من أفكار أثرت في الدّراسة اللّسانية عامّة و الدراسة اللّسانيّة في حلقة موسكو خاصّة .

**1-نبذة عن حياة رومان جاكبسون:**

ولد "رومان جاكبسون" (Roman Jakobson) بموسكو سنة 1896، و زاول دراسته بجامعة موسكو في معهد الدراسات الشرقية و تخصص في اللسانيات المقارنة و الفيلولوجيا السلافية، أسس "جاكبسون" و لم يتجاوز سن الثامن عشر مع بعض الباحثين "نادي موسكو اللساني" و أسهم فيه بوضع بعض النظريات الأدبية الحديثة. ثم انتقل "جاكبسون" إلى تشيكوسلوفاكيا ليدرّس بجامعة "بورن" (Born) طوال إقامته هناك، و ساهم أيضا في تأسيس نادي براغ اللّساني، و ناقش رسالة الدكتوراه بجامعة براغ سنة 1930، و شغل نائب رئيس نادي براغ عام 1938. ثم سافر "جاكبسون" إلى البلدان الاسكندنافية سنة 1939 نتيجة الغزو النازي لتشيكوسلوفاكيا، و درس بجامعة كوبنهاغن و أوسلو و أوبسال، ثم أنتقل إلى الولايات المتحدة سنة 1941 و درّس بالمدرسة الحرة للدراسات العليا ما بين سنتي 1943و 1946، و ساهم هناك في تأسيس "نادي نيويورك اللّلساني"، و بجامعة كولومبيا مابين سنتي 1943 و 1949، و جامعة هارفرد أين درس اللغة و الأدب السلافيين من سنة 1949 إلى سنة 1957. و بعدها انتقل إلى باريس و درس اللسانيات العامة و اللسانيات السلافية بمعهد ماساتشوست التكنولوجي.

ألّف جاكبسون مل يزيد عن 370 كتابا و مقالة و ما يزيد عن مائة عمل أدبي، و يوجد عدد كبير من مؤلّفاته في المجلدات التسعة الأولى من أعمال نادي براغ اللّسانيّ، و من أهم مؤلّفاته:

- لغة الأطفال الحبسة و القوانين الفونولوجية العامة (1941).
- مبادئ علم اللغة بالاشتراك مع "هال" (Halle) (1956).
- محاولات في اللسانيات العامة (1963)، و هو أخر و أهمّ كتاب للمؤلّف.

**2-النظريّة الفونولوجيّة لجاكبسون:**

كان لجاكبسون أبحاث في الفنولوجيا ، و تنصّ النّظرية الفونولوجيّة لجاكبسون على أنّ هناك نظاما سيكولوجيًّا كليًّا منتظما و بسيطا مشتركا بين جميع اللّغات

البشريّة، و أنّ الاختلافات الموجودة بين هذه اللّغات في الأصوات الكلامية اختلافات سطحيّة لنظام تحتيّ ثابت مشترك،
و بيّن "جاكبسون" في كتابه "مقدمة في تحليل الكلام" أنّ ثمّة نظاما فونولوجيًّا كليّا تشرك فيه جميع اللّغات، يحوي اثنتي عشرة سمة مميّزة تتّصف بها كلّ اللّغات الإنسانيّة، منها: صائت/صامت، مجهور/مهموس، زفيري/شهيقي، رخو/شديد...إلخ

**3- عوامل التواصل و وظائف اللّغة:**

**3-1- عوامل التّواصل:**

كنّا قد أشرنا إلى بعض عوامل التّواصل، و سنفصّل الحديث عنها في هذا العنصر، و يمكن في هذا السّياق إيراد تصنيف مشهور لعوامل التّواصل، و هو تصنيف "رومان جاكبسون" (Roman Jakobson) حيث جعلها ستّة عوامل و هي: المرسل، و المرسل إليه، و الرّسالة، و السّنن، و القناة، و المرجع:

**3-1-1- المرسل:**

هو العامل الأوّل في خطاطة العمليّة التواصليّة، و العنصر الذي تنطلق منه، حيث يبدأ الحوار بصياغة أفكاره في رموز تعبّر عن المعنى الذي يقصده ، و هو الّذي يحدّد طبيعة الرّسالة و محتواها و لغتها، و يختار الوسائل الكفيلة بإيصالها إلى المتلقّي، من أجل إرسال رسائل معيّنة، و التّأثير فيه.

**3-1-2- المرسل إليه:**

و يسمّى أيضا بالمستقبل أو المتلقّي (Récepteur)، و يقوم بعمليّة تفكيك (décodage) الرّسالة، و قد يكون المرسل إليه فرداً أو جماعةً، فيستقبل الرّسالة و يحلّلها ليفهم معانيها ثمّ يجيب عن المرسل، فيصبح هو بدوره مرسلاً يبثّ رسالةً ما، و بذلك تكتمل الدّورة التّواصليّة.

**3-1-3- الرّسالة:**

هي الأفكار و المشاعر و الاتّجاهات التي يرغب المرسل في إشراك المرسل إليه فيها سواء كانت هذه الرّسالة ألفاظاً، أم صوراً، أم كتابةً، أم حركةً.

**3-1-4- السّياق:**

يطلق عليه أيضاً "المرجع" (La Référence) و هو البيئة الاجتماعيّة التي تمدّنا بقواعد و أحكام للتّفاعل معها، و تتمثّل في المكان و الزّمان و الأشخاص، و كلّ ما

يحيط بالبيئة التّواصليّة من ظروف اجتماعية و اقتصاديّة و سياسيّة، و كذا الظّروف النّفسيّة للمتواصلين.

**3-1-5- السّنن:**

يسمّى أيضا "بالقانون" أو "الشفرة"، و هي الرّموز الحاملة للرّسالة، وقد تكون هذه الرموز رموزاً لغويّة أو غير لغويّة، و يشترط في السّنن أن يكون مشتركاً كليًّا أو جزئيًّا بين المرسل و المرسل إليه؛ فكلّما كان السّنن مفهوماً لدى المرسل إليه و واضحاً، كانت الرّسالة أكثر فاعليّةً، و أكثر تأثيراً فيه، و بالتّالي تكون العمليّة التّواصليّة أكثر نجاحاً.

**3-1-6- الاتّصال:**

يقتضي الاتّصال قناة (Canal) يتمّ عن طريقها انتقال الرّسائل من المرسل إلى المرسل إليه، بما في ذلك اللّغة اللّفظيّة، و الإشارات، و الحركات، و الصّور، و النّماذج، و المجسّمات، و الأجهزة السّمعيّة و البصريّة، و يقتضي أيضاً ربطاً نفسيًّا بين المرسل و المرسل إليه يسمح لهما بإقامة التّواصل و الحفاظ عليه، و من الواجب أن تكون القناة مناسبةً لطبيعة الرّسالة، و مناسبةً أيضاً لقدرات المرسل إليه العقليّة و النّفسيّة.

**3-2- وظائف اللغة:**

**3-2-1- الوظيفة الانفعاليّة (التّعبيريّة): (Fonction émotive)**

و ترتبط هذه الوظيفة بالمرسل، و هي التّعبير المباشر عن موقف الذّات تجاه ما تتحدّث عنه، و تهدف إلى إبانة الانفعال من حيث أنّه صادق أو كاذب، و تحدّد الوظيفة الانفعاليّة العلاقة بين المرسل و الرسالة و موقفه منها، فعندما تصدر الرّسالة فإنّها تدلّ في الوقت نفسه على طابع مرسلها و تكشف عن حالته، و لذلك فإنّ الرّسالة تؤدّي وظيفة التّعبير عن صاحبها. و يتجلى ذلك في طريقة النّطق، مثلا، أو في أدوات لغوية تفيد الانفعال كالتأوّه و التعجّب، أو دعوات الثّلب، أو صيحات الاستنفار... و تختلف الرّسالة التعبيريّة باختلاف المواقف و سياقات الكلام.

**3-2-2- الوظيفة المرجعيّة: (La Fonction Référentielle)**

و تسمى أيضا الوظيفة "التقريريّة"(Dénotative) أو "المعرفيّة"(Cognitive) ، و هي الوظيفة المؤدّية إلى الإخبار؛ و ذلك لأنّها تحيلنا على أشياء و موجودات نتحدّث عنها، و تقوم اللّغة هنا بوظيفة الرّمز إلى تلك الموجودات و الأحداث

المبلّغة. و ترتبط هذه الوظيفة بالسّياق و تحيل عليه، كما أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الذي تعبّر عنه اللّغة.

### 3-2-3- الوظيفة الإفهاميّة: (Fonction Conative)

و تسمّى "الوظيفة الإفهاميّة" أيضا "بالوظيفة التّأثيريّة" (Fonction Impressive)، و ترتبط هذه الوظيفة بالمرسل إليه و تتّضح جليّا في صيغتي " النّداء" و " الأمر"؛ فهاتين الصيغتين تختلفان على المستوى التّركيبي و الصّرفي و الصّوتي، في الغالب، عن المقولات الفعليّة و الاسميّة الأخرى؛ فالجمل الأمريّة تختلف عن الجمل الخبريّة في كون هذه الأخيرة قابلة لأن تخضع لاختبار الصّدق، في حين أنّه لا يمكن لجمل الأمر الخضوع لذلك، و عليه فإنّ جملة من مثل "اشربوا" فإنّها لا تحتمل السّؤال عن صدقها أو كذبها، و لكنّها تحتمل هذا السّؤال إذا ما كانت في صيغة الخبر مثل"شربنا". و عليه فإنّ "الوظيفة الإفهاميّة" إنّما ترتبط بالمرسل إليه، و تتجلى بشكل واضح في الصّيغ الإنشائيّة.

### 3-2-4- الوظيفة الانتباهيّة:(Fonction Phatique)

و تستعمل هذه الوظيفة ، أساسا لإقامة التّواصل و تمديده أو قطعه، كما أنّها تستعمل للتّأكّد ممّا إذا كانت دورة الكلام تشتغل و أنّ التّواصل ما يزال قائماً، مثل قولنا عند الحديث مع شخص ما ( قل. أتسمعني؟) ، و تستعمل أيضا للفت انتباه المخاطب و التّأكّد من قوّته مثل "أتسمعني". و يمكن أن يدرج ضمن الوظيفة الانتباهيّة كلّ ما يمكن أن يلفت انتباه السّامع من تأكيد أو تكرار أو إطناب. و غيرها من الصّيغ التي نستعملها في حواراتنا اليوميّة من أجل الحفاظ عليها و تمديدها.

### 3-2-5- الوظيفة الميتالغويّة: (La Fonction Métalinguistique)

و يطلق عليها أيضا "الوظيفة المعجميّة" (La Fonction De Glose) أو "وظيفة ما وراء اللّغة". و يميّز " جاكبسون"بين مستويين للّغة هما: "اللّغة الموضوع" (Langage- Objet)، و "اللّغة الواصفة" (Métalangage) التي تتحدّث عن اللّغة ذاتها، و اعتبر أنّ هذه الأخيرة ليست أداة علمية يستعملها المناطقة و اللّسانيّون فحسب، بل إنّها تلعب دوراً هامًّا في اللّغة اليوميّة؛ إذ نمارس اللّغة الواصفة دون إدراكنا للخاصيّة الميتالسانيّة لممارستنا. و يكون التّركيز، في هذه الوظيفة، على السّنن عندما يشعر المرسل و المرسل إليه بضرورة التّأكّد ممّا إذا كانا يستعملان السّنن استعمالا صائبا فيتساءل المستمع " إنّني لا أفهمك" "ما الذي تريد قوله؟" و يسبق

المتكلّم هذه الأسئلة بقوله: "أتفهم ما أريد قوله؟". و من الواضح أنّ هدف "الوظيفة الميتالغويّة" هو التّأكّد من صحّة السّنن و وضوحه لدى الطرفين المتواصلين.

**6-2-3- الوظيفة الشّعريّة: (La Fonction Poétique)**

و تتضح الوظيفة الشّعريّة عندما يتمّ التّركيز على الرّسالة باعتبارها رسالة بغضّ النّظر عن أيّ اعتبار آخر، و تتّضح أيضا عندما تكون الرّسالة معدّة لذاتها كما هو الحال في النّصوص الفنيّة مثل القصائد الشّعريّة و غيرها، و تعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الأصوات، و الكلمات و التّراكيب...إلخ في ذاتها، فتكسبها قيمةً مستقلّةً.

و ما يمكن قوله في ختام الحديث عن وظائف اللّغة عند "جاكبسون"، أنّ هذا الباحث قدّم تصنيفا للوظائف التّواصليّة للّغة يمكن الاستفادة منه كثيراً في دراسة اللّغة.

- **خاتمة:**

إن أهمّ نتيجة نخلص إليها في هذا العرض الموجز عن حلقة موسكو هي أنّ هذه الحلقة أسّست على مبادئ اللّسانيات البنيويّة و لكنّها أثرت الدّراسة اللّسانيّة بدعوة رائدها "جاكبسون" إلى الاهتمام بالوظائف الّتي تؤدّها اللّغة في إطار التّواصل، و هو بذلك وجّه مسار الدّراسة اللّسانيّة من الاهتمام بالبنية اللّغويّة إلى الاهتمام بالوظائف التّواصليّة الّتي تؤدّيها اللّغة.

**المحور الثالث: مدرسة براغ 1 (تروبتسكوي)**

**مقدّمة:**

تعدّ حلقة براغ (Cercle de Prague) أو المدرسة الوظيفيّة من أهمّ المدارس اللّسانيّة، حيث إهتمّت الوظيفة التّواصليّة للّغة و لم تتوقّف عند حدود دراسة بنيتها الشّكليّة، بل تجاوزتها إلى الدّراسة الوظيفيّة في كلّ مستوياتها الصوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة و الأسلوبيّة، و من أهمّ أعلامها ماتزيوس (V.Mathésius) و ترنكا (B.Trnka) و فاشيك (J.Vachek)، و تروبسكوي (N.Troubetskoy) الّذي شنتعرّف في هذا الدّرس إلى أهمّ ما قدّمه من دراسات وظيفيّة خاصّة في مجال الفونولوجيا.

**1- نبذة عن حياة تروبتسكوي:**

ولد "نيكولا سيرجيفيتش تروبتسكوي" (Nicolai sergeyevich trubetzkoy) سنة 1890 و هو سليل عائلة من العلماء من نبلاء الرّوس، إذ كان

أبوه أستاذا للفلسفة و مديرا لجامعة موسكو. بدأ "تروبتسكوي" حياته بدراسة الفلسفة و التراث الشعبي و القوقازي الفينوأوغري (Finno- Ugric)، درس اللسانيات الهندوأوربية في جامعة موسكو ثم أصبح عضوا في هياتها التدريسية عام 1916م، و بعد اندلاع الثورة الرّوسية اضطر إلى الهرب فالتجأ إلى "روستوف" (Rostov) حيث منح كر سيا في الجامعة المحليّة هناك، و بعدها لجأ إلى القسطنطينية سنة 1919، و عيّن في سنة 1922 رئيسا لقسم تاريخ اللّغات السلافية في فيينا، و أصبح عضوا في حلقة براغ بعد ذلك بعدّة سنوات، و بقي "تروبتسكوي"في فيينا حتى وافاه الأجل عام 1938م.

و من أهمّ مؤلّفاته:

- أطروحة دكتوراه قدّمها سنة 1916 حول مستقبل اللغة الهندوأوربية.
- نشر كتابا عند إقامته بصوفيا مابين سنتي 1920 و 1022 عن نظريّة الحضارات باللغة الفرنسيّة.
- و من أشهر كتبه كتاب " مبادئ الفونولوجيا" عام 1939.

**2- تروبسكوي و علم الأصوات الوظيفيّ:**

**2-1- الفونيم:**

اهتمّ "تروبسكوي" بعلم الأصوات الوظيفيّ و انكبّ على دراسة وظائف الأصوات اللّغويّة، حيث أولى اهتماماً كبيراً بالفونيم. و ركّز على دراسة طبيعة التقابل(paradigmatique) بين الفونيمات الّتي يمكن أن تكون متميّزة عن بعضها البعض في بنية صوتيّة معيّنة، بدلا من العلاقة الأفقية (Syntagmatique) التي تحدّد تنظيم الوحدات في سلاسل في اللّغة.

و اعتبره وحدة أساسيّة في الدّراسة الوظيفية للأصوات، حيث يعرّف "تروبسكوي" الفونيم بقوله: «إنّ الفونيم هو قبل كل شيء مفهوم وظيفي» و هو كذلك: «الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التجزيء إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة».

**2-2- التّضادّ الفنولوجيّ:**

قدّم "تروبسكوي" التضاد الفونولوجي كوسيلة لدراسة الفونيمات و خصائصها. و اعتبر أنّ هذا التضاد يساعد على تعريف الفونيم تعريفاً علميًّا، و هو أن يدخل في تضاد فونولوجي واحد على الأقل

و حدّد "تروبسكوي" سمات الفونيمات بمقابلتها في سياقات صوتية مختلفة كما يأتي:

**2-2-1- التّضاد السّالب:**

هذا التضاد يجمع فونيمن يشتركان في السمات الصوتية و يختلفان في سمة واحدة، مثل: /س/ -/ز/، /ت/ - /د/، /ث/ - /ذ/، حيث إنّ الصوت الأوّل من كلّ زوج مهموس و الثاني مجهور.

**2-2-2- التّضاد التدريجي:**

تتفاوت أصوات هذا التّضاذ فيما بينها في درجة الميل، كدرجة انفتاح أعضاء النطق عند التفوّه ببعض الصّوائت، و مثال ذلك: في العربيّة /أ/ _ /ي/، /e/ _ /i/.

**2-2-3- التّضاد المتكافئ:**

يتميّز كل فونيم من فونيمات هذا التّضادّ بسمة مميّزة لا توجد في الفونيمات الأخرى مثل التّضادّ بين صوتيّ: /م/ - /ع/ و صوتيّ: /ب/ - /خ/.

**2-2-4- التّضاد الثنائيّ:**

يجمع هذا التّضاد الأزواج الصّوتيّة الّتي تشتيّرك في أكبر عدد ممكن من الخصائص، بالمقارنة مع الأزواج الأخرى، و مثال ذلك التّضاد الموجود بين صوتيّ: /ك/ - /خ/؛ حيث يشتركان في الصّفات الآتية: فمويّ، طبقيّ مهموس. و كلّما كانت السّمات المشتركة أكثر، كانت العلاقة بين الصّوتين أكثر متانة.

**2-2-5- التّضاد متعدّد الجوانب:**

تكون العلاقة بين الفونيمات، في هذا التّضادّ، علاقة هشّة لكونها تشترك في صفة عامّة، فمثلا يشترك الصّوتان /و/ - /ي/ فقط في كونهما من الصّوائت، و كذلك بالنّسبة لصوتيّ: /ب/ - /ع/، أو /ح/ -/ش/ لأنّهما من الصّوامت.

**2-2-6- التّضاد المتناسب:**

يحدث التّضاد المتناسب إذا كانت السّمة المميّزة نفسها توجد أيضا في الأزواج الفونيميّة الأخرى، مثلا: الجهوريّة سمة مميّزة ليس بين صوتيّ /p/ - /b/، في اللّغة اللاّتينيّة، فحسب، بل بين /t/ -/d/، و بين /k/ -/g/ أيضاً.

**2-2-7- التّضاد الممكن تحييده:**

يحدث هذا التّضاذّ بين صوتين يمكن أن يتغايرا في بعض المواقع الكلاميّة و ليس في كلّها، و مثال ذلك التّضاد بين صوتيّ /t/-/d/ في اللّغة الألمانيّة، إذا ما وقع هذان الفونيمان في أواخر الكلمات، فينطق بصوت /t/، ويطلق عليه اسم الفونيم

الأمّ، و يتضمّن هذا الفونيم الأم مجموعة من السّمات المشتركة المميّزة بين المتضادّين.

و لهذا التضاد الفونولوجي دور في تمكين السمع من معرفة سلسلة الكلمات الّتي نطقها المتكلّم.

**3- وظائف اللّغة عند تروبسكوي:**

ترى مدرسة براغ كما ذكرنا سابقا أنّ اللّغة تؤدّي وظيفة أساسيّة هي وظيفة التّواصل و ليس فقط الإخبار، و كان تروبسكوي من رواد هذا المبدأ.

و قد تأثّر بزميله الفيلسوف "كارل بوهلر" (K. Buhler ) في تحديده لوظائف اللّغة، و هي ثلاث وظائف أساسيّة كما يأتي: الوظيفة التّمثيليّة، و الوظيفة النّدائيّة، و الوظيفة التّعبيرية. و تتطلّب ثلاثة عناصر هي: العالم ، المرسل، و المرسل إليه. و لذلك فإنّ كل حدث تواصليّ يحيل إلى:

2- المضمون المبلّغ: الذي يعبّر عن العالم و يقوم بوظيفة التّمثيل (Fonction Représentation).

3- المرسل إليه: و هو المستقبل للرّسالة و يقوم بوظيفة النّداء (Fonction D'appel).

4- المتكلّم: و هو الذي يعبّر عن مواقفه النّفسية و العقليّة و هذه هي الوظيفة التّعبيريّة(Fonction D'expression ).

- **خاتمة:**

إنّ أهمّ نتيجة نخلص إليها في ختام هذا الدّرس هي أنّ مدرسة براغ الوظيفيّة وجّهت الدّراسة اللّسانيّة نحو الاهتمام بوظائف اللّغة، و أسّست علم الأصوات الوظيفيّ و أنّ "تروبسكوي" الّذي يعدّ علما من أعلامها، أثرى الدراسات اللسانية بتقديمه أبحاثا قيمة في مجال الصوتيات الوظيفية و أسهم بذلك في تطوير مدرسة براغ.

**المحور السادس: المدرسة الوظيفيّة الفرنسيّة (أندريه مارتيني)**

- **مقدّمة:**

بعد ظهور مدرسة براغ و انتشار أفكارها الوظيفيّة في أوربّا ظهرت مدرسة أخرى تأثّرا بهذه الأفكار هي المدرسة الوظيفيّة الفرنسيّة، و هي مدرسة لسانية

بنيوية ظهرت في فرنسا و تعد امتدادا لمدرسة براغ الوظيفية، و سميت بالوظيفية لأنّها تدرس الوظائف الّتي تؤدّيها الوحدات الصّوتيّة داخل المنظومة اللّغويّة، و من أهمّ مؤسّسيّ هذه المدرسة هو اللّسانيّ " أندريه مارتيني" الذي يعدّ بدوره علَماً من أعلام مدرسة براغ و مؤسّس البنيويّة الوظيفيّة الفرنسيّة، و سنتعرّف في هذا الدّرس على سيرته العلميّة و أهمّ أفكاره اللّسانيّة:

**1- نبذة عن حياة أندريه مارتيني:**

ولد "مارتيني" (André Martinet) سنة 1908م بمقاطعة السافوا بفرنسا، و بعدما أتمّ دراسته العليا اشتغل في التّدريس في بعض ثانويات باريس، و في الوقت نفسه درس اللغة الانجليزيّة و حصل فيها على شهادة التّبريز، و تابع دروس بعض المشاهير من اللغويين أمثال "موسي" (Mossé) و "فندرس" (Vendryes) و "ميي" (Meillet). نال شهادة الدكتوراه سنة 1937م، و أصبح مديرا للدراسات الفونولوجيّة بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا في عام 1938.

كانت لمارتيني احتكاك بلغوييّ براغ من سنة 1932 إلى 1938م، و خاصّة مع "تروبتسكوي" و شارك في أعمال هذا لاتّادي التي تنشر بانتظام، و في هذه الفترة نفسها كان يتابع تطوّر نظرية الغلوسيماتيك لإقامته بالدّنمارك و اتّصاله "بيلمسليف"، و بين سنتيّ 1946و 1955م استقرّ بالولايات المتّحدة، و تابع تطوّر اللّسانيّات الأمريكيّة على يدي "سابير" و "بلومفيلد"، و في عام 1946م عيّن مديرا للمجلة العلمية اللسانية "الكلمة" و استمر في إدارتها حتى سنة 1960م، و في سنة 1947م عيّن مديرا لمعهد اللسانيات بجامعة كولومبيا بنيويورك، و عيّن أيضا مديرا للجمعية العلمية للغة المساعدة التي كانت ترمي إلى إنشاء لغة عالميّة جديدة، و هو اليوم من أشهر اللّسانييّن.

و ألّف "مارتيني" ما يزيد عن مائتين و سبعين مؤلّفا في عدّة مجالات منها اللسانيات العامة، و اللسانيات الوصفية، و الفونولوجيا الوظيفيّة، و الفونولوجيا التّاريخيّة، و من أبرز هذه المؤلّفات نذكر:

- نطق الفرنسية المعاصرة (1945).
- الفونولوجيا كنوع من الصّوتيّات الوظيفيّة (1949).
- نظرة وظيفيّة للّغة (1962).
- اقتصاد التغيّرات الصّوتيّة (1955).
- مبادئ اللّسانيّات العامّة (1960).

## 1- وظيفة اللّغة:

أكّد "أندريه مارتني" على وجوب الاهتمام بالوظيفة التّواصليّة للّغة، فعدّ اللّغة مؤسّسة بشريّة، يشترك فيها جميع البشر على اختلاف مجتمعاتهم و ألسنتهم؛ و رغم أنّ اللّغة، حسب رأيه، تختلف من مجموعة بشريّة إلى أخرى، فإنّ وظيفتها واحدة لا تتغير عند جميع البشر ألا و هي التّواصل. فاللّغات البشريّة رغم اختلافها تشترك في خاصيّة عامّة هي كونها تؤدّي وظيفة التّواصل بين أفراد المجتمع اللّغويّ.

و يشير "مارتينيه" أيضاً إلى أنّ ما يميّز اللّغة البشريّة عن غيرها من الأنظمة الأخرى هي وظيفة التّبليغ أو التّواصل، فاللّغة العربية على سبيل المثال هي قبل كل شيءٍ الوسيلة الّتي تمكّن أهل اللّسان العربيّ من تكوين العلاقات فيما بينهم.

## 2- التّقطيع المزدوج:(Double articulation)

إنّ التّقطيع المزدوج يعدّ أساس نظريّة "أندريه مارتيني"، إذ يرى أنّ أهمّما يميّز اللغات البشريّة عن سائر الأنظمة التّواصليّة الأخرى هو قابليّتها للتّقطيع المزدوج، و يتجلّى في مستويين اثنين كما يأتي: مستوى التّقطيع الأوّل:

تنتج عنه وحدات لسانيّة دنيا مستقلّة و تحمل معنى في ذاتها، و هي قابلة للتّقطيع إلى وحدات صوتيّة؛ أي أنّها تحمل دلالة و دالاّ هو الصّورة السّمعيّة لها أي الأصوات المؤلّفة منها و تسمى مونيمات.

- مستوى التّقطيع الثّاني:

يتمثّل هذا المستوى من التّقطيع في تقطيع الوحدات النّاتجة عن التّقطيع الأوّل و تنتج عنه وحدات صوتيّة دنيا لا تحمل دلالة في ذاتها لكنّها ذات صفة تمييزيّة. و تسمّى فونيمات، و المثال الآتي يوضّح كلا مستويي التّقطيع:

لنلاحظ جملة مثل: يوجعني رأسي

فهذه الجملة تقطّع إلى مجموعة من المونيمات هي: يوجع، ني (نون و ياء المتكلّم)، رأس، ي (ياء المتكلّم)، فكلّ هذه الوحدات تتكوّن من مدلول و دالّ، و هذا هو التّقطيع الأوّل. أمّا التّقطيع الثّاني فهو تقطيع المونيمات إلى فونيمات كما يأتي:

/ي/ج/ع/، /ن/ي/، /ر/أ/س/، /ي/، نلاحظ أنّ المونيمات التي تتكوّن منها هذه الجملة قطّعت إلى وحدات صوتيّة دنيا غير قابلة للتّقطيع لها سمة تمييزية؛ فمثلا الفونيم /ر/ يميّز كلمة رأس عن كلمتيّ: فأس، و بأس.

**3- النّظريّة الفونولوجيّة عند مارتيني:**

تأثّر "أندريه مارتيني" تأثّراً كبيراً بمدرسة براغ و سار على منهاجها الوظيفيّ في الدّراسة اللّغويّة و الفونولوجيّة. إلاّ أنّ "مارتيني" اهتمّ بالعلاقة القائمة بين علم الأصوات الوظيفيّ (Phonologie) و علم الأصوات العام (Phonitique)، و كانت مدرسة براغ قد فصلت بين هذين العلمين و عدّت علم الأصوات الوظيفيّ علما ينتمي إلى العلوم الإنسانيّة، في حين ينتمي علم الأصوات العام إلى العلوم التّجريبيّة، و ساهم مساهمة كبيرة في إزالة الفصل بينهما، و عدّ الفونولوجيا نوعا من الفونيتيك التّطوريّة، و أصبح بذلك من المنظّرين الأوائل في ميدان" الصّوتيّات الوظيفيّة التّاريخيّة" (Diachronique phonologie)، الّتي يهدف من ورائها إلى تفسير تطوّر اللّغة.

من هنا طوّر "مارتيني" نظريّة التّغيّرات الصّوتيّة و أصبحت بفضله نظريّة واضحة و دقيقة، و اعتمد على مفهوم "النّتاج الوظيفيّ" في تفسير التّغيّرات الصّوتيّة، «و النّتاج الوظيفيّ لتقابل ما هو ببساطة كمية العمل الذي يؤديه في تمييز العبارات التي تصبح متشابهة بدونه»، و يتوضّح لنا من هذا التّعريف للنّتاج الوظيفيّ أنّه بمثابة السّمة التّمييزيّة بين فونيمين متقابلين أو متضادّين، الّتي تميّزهما عن بعضهما.

و يرى "مارتينيه" أنّ الفونيمات المختلفة تتداخل فيما بينها و تميل نحو الاندماج، و تقابل هذا الميل الحاجة إلى المحافظة على التميّز من أجل التّواصل، و تعتمد قوّة التّوازن في هذا التّقابل على نتاجه الوظيفيّ، و لهذا فإنّ التّطوّرات الحاصلة في الأصوات الوظيفيّة تعرف وجوبا من خلال إحصاء النّتاج الوظيفيّ.

**4- الاقتصاد اللّغويّ:**

إنّ مبدأ الاقتصاد اللغويّ (L'économie linguistique) من المبادئ الّتي تقوم عليها نظريّة "مارتيني"، و لا ينحصر هذا المصطلح، عند "مارتيني" في معني التّقتير الّذي يقابل التّبذير، بل إنّه يشمل كلّ شيء؛ كتقليص كلّ تمييز غير مفيد، أو إظهار تمييزات جديدة، أو الإبقاء على الوضع الرّاهن...إلخ.

و في هذا السّياق، يرى "مارتيني" أنّ الإنسان يواجه صراعاً بين عالمه الدّاخليّ و العالم الخارجيّ؛ فالعالم الخارجيّ في تطوّر مستمرّ ممّا يتطلّب ابتكار مفردات جديدة تواكب هذا التّطوّر، و طبيعة الإنسان الدّاخليّة تميل إلى الخمول و الجمود، و استعمال القليل من المفردات المتاحة، إضافة إلى وجود صراع بين متطلّبات العمليّة التّواصليّة الّتي تؤدّي إلى تطوير اللّغة، و بين خمول الأعضاء و نزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الّذي تستلزمه عمليّة النّطق أو التّذكّر.

- **خاتمة:**

نستخلص في ختام هذا الدّرس الّذي تمحور حول نظريّة "أندريه مارتيني" الوظيفيّة أنّ هذا اللّسانيّ أضاف الكثير من الأفكار الجيّدة الّتي أسهمت في تطوير الدّراسات اللّسانيّة، خاصّة فيما يتعلّق بمبدأ التّقطيع المزدوج، و الاقتصاد اللّغويّ، و التّشديد على ضرورة الاهتمام بدراسة وظائف اللّغة.

**المحور السّابع: المدرسة السياقيّة (جون فيرث)**

- **مقدمة:**

ازدهرت الدّراسات الوظيفيّة في أوربا و امتدّت لتشمل المملكة المتّحدة أين ظهرت مدرسة وظيفيّة سمّيت "بالمدرسة الوظيفيّة الانجليزيّة" أو "المدرسة السّياقيّة"، و تميّزت الدّراسات اللّسانيّة في هذه المدرسة بتأكيدها على الوظيفة التّواصليّة للّغة، و دعوتها إلى ربط الوحدات اللّغويّة بالاستعمال، و دراستها ضمن السّياق الّذي وردت فيه، و يعدّ اللّغويّ "جون فيرث" رائد المدرسة السّياقيّة و مؤسّسها، و سنتطرّق في هذا الدرس إلى سيرته العلميّة و جهوده اللّسانيّة:

**1- جون فيرث حياته و نشاطاته العلميّة:**

ولد "جون روبارت فيرث" **(J.R. Firth)** بيوركشير (Yordshire) سنة 1890م، درس التّاريخ قبل أن يلتحق بالخدمة الوطنيّة و يجوب مختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانية خلال الحرب العالميّة الأولى، و كان من حسن حظه أنّه استقر بالهند لمدة طويلة، و تعلّم بعض اللغات الشرقيّة، و هكذا تأثّر بالنّظريّات اللّغويّة الهنديّة، الشّيء الّذي جعله يعتقد بانّ تطوير أيّة نظريّة لغويّة لا يكون إلاّ بمعرفة دقيقة للصّوتيّات الحديثة، و نظرا لاهتمامه بالتّعليم و مناهجه، فقد تولّى مهمّة تدريس اللغة الانجليزيّة بجامعة "البنجاب": سنة 1919م.

و بعد هذه الجولة رجع "فيرث" مباشرة إلى جامعة لندن ليشغل منصب أستاذ بمعهد بالصوتيات، و في 1838م انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية

الإفريقية (Scool of oriontale and fracan studie) بلندن ليتولّى تدريس مقياس " الدراسات الشرقية و الإفريقيّة".

و يعد "فيرث" أوّل من درّس هذا المقياس منذ إقراره عام 1944م، و كذلك أوّل من منح رتبة أستاذ ذي كرسيّ في اللّسانيات العامّة ببريطانيا. و جذير بالذّكر أنّ "فيرث" قد كوّن أجيالاً عديدة من الطلبة، و تخرّج على يديه عدد لا بأس به من اللّسانيّين الّذين ما فتئت أعمالهم تعكس أفكاره و تشعّ بنظريّاته.

و يعدّ "فيرث" مؤسّس المدرسة الانجليزيّة في علم اللّغة الحديث، و زعيم النّظريّة السّياقيّة، و يعود إليه الفضل في تأسيس المنهج السّياقيّ في دراسة المعنى.

**2- النّظريّة السّياقيّة:**

و يعدّ "جون فيرث"، رائد النّظريّة السّياقيّة في علم الدّلالة، و الدّراسات الوظيفيّة في مدرسة لندن، من المنادين بضرورة اعتبار الوظيفة التّواصليّة للغة هي التّواصل. و قد تأثّر "فيرث" في ذلك بأفكار زميله "ب. مالينوفسكي" (B.Malinowsky) (1884- 1942) الأنثربولوجي البولنديّ الأصل، الذي كان يرى بأنّ عدّ اللّغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلّم إلى رأس السّامع، ليست سوى خرافة مظلّلة، و في سياق دراسته للثّقافات البدائيّة اعتبر أنّ التّكلّم، ، ليست قولا بل عملا، لأنّ اللّغة عند البدائيّين هي حلقة تواصل بين أفراد الجماعة و هي نوع من العمل، وليست نقلا للأفكار فقط.

و من الواضح أنّ "مالينوفسكي" من دعاة دراسة اللّغة دراسة وظيفيّة تواصليّة. ولذلك تأثّر به "فيرث"، و حسب "جيفري سامسون" فإنّ أحدهما تأثّر بالآخر، ممّا جعل آراءهما تتشابه إلى حدّ كبير.

و تندرج أعمال "فيرث" ضمن مجالين أساسيين هما الصّوتيّات الوظيفيّة و علم الدّلالة:

فأمّا المجال الأوّل: فقد درس "فيرث" وظيفة الأصوات انطلاقا من تأكيده على أنّ الأصوات تترابط وظيفيّا فيما بينها.

و أمّا المجال الثّاني: فيتعلّق بالدّراسة الدّلاليّة التي تأثّر فيها "فيرث" كما سبقت الإشارة بزميله "مالينوفسكي" معتبرا أنّ "معنى العبارة الكلامية هو ما تفعله"، و عليه فإنّ معنى العبارة الكلاميّة محدّد داخل الفعل الذي تحدثه هذه الأخيرة. و لعلّ ذلك ما ذهب إليه، أيضا، التّداوليّون و خاصّة "أوستن"(J.L. Austin ) و "سيرل" (J.R.Searle) في نظريّتهما عن أفعال الكلام فأسّس "فيرث" نظريّته

السّياقيّة على هذا المبدأ، و اعتبر أنّ المعنى يجب أن يدرس ضمن مواقف حقيقيّة لاستعمال اللّغة، ومنه قسّم السّياق إلى قسمين هما:

**3- أنواع السّياق:**

**3-1- السّياق اللّغوي:**

و يُعرف "السّياق اللّغوي" بأنّه العلاقات التي تربط وحدة لغوية معينة بالوحدات الأخرى، كالعلاقات الموجودة بين الوحدات اللّغويّة في تتابع ما، و العلاقات التّركيبيّة بين الوحدات النّحويّة، و العلاقات الوظيفيّة الموجودة بين الوحدات الصّوتيّة.

و هو باختصار: «البيئة اللّغويّة الّتي تحيط بصوت أو فونيم أو مرفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة»، و عليه فإنّ دلالة الوحدات اللّغويّة (الصّوت أو الكلمة أو الجملة) تتحدّد انطلاقا من موقعها داخل النّظام اللّغويّ و علاقاتها بالوحدات اللّغويّة الأخرى، أي أنّ معناها يتحدّد تبعاً لسياقها اللّغويّ، «فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد و عام و يتصف بالاحتمال، على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق خاصة اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة و سمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم». و يمكن التّمثيل لذلك بكلمة "ضرب" التي تختلف دلالتها باختلاف السّياق اللّغويّ الّذي ترد فيه كما يأتي:

- ضرب المدفع، بمعنى: أطلقه.
- ضرب النار، بمعنى: أشعلها.
- ضرب البوق، بمعنى: زمّره.
- ضربه بالعين، بمعنى: حسده.

**3-2- السّياق غير اللّغوي:**

و يُعنى "السّياق غير اللّغوي" بالعلاقات غير اللّغويّة الّتي تخضع لها اللّغة، و التي قد تكون ضمن سياق "عاطفيّ" (Emotional context) يحدّد طبيعة الانفعال المتبادل بين المتواصلين، أم سياقا "موقفيّا" (Situational context) يحدّد الموقف الخارجي الذي يقع فيه التّواصل، و من ثمّ يتحدد المعنى وفقا لهذا الموقف، أم سياقا "ثقافيّا" (Cultural context) يحدّد المعنى انطلاقا من المحيط الاجتماعي أو الثّقافي الذي يمكن أن تقع فيه العبارة.

**3-2-1- السّياق العاطفيّ:**

يبيّن السّياق العاطفيّ درجة الانفعال الّذي تحمله الكلمات كالقوّة و الضعف أو التّأكيد أو المبالغة...إلخ.

فمثلا كلمتيّ "يكره" و "يبغض" فرغم اشتراكهما في المعنى العام إلاّ أنّهما يختلفان في درجة الانفعال فلكلّ واحدة منهما سياقاً خاصّاً و حالة عاطفيّة تناسبها.

**2-2-3- سياق الموقف:**

تعود نشأة مصطلح سياق الموقف إلى علماء الأنثربولوجيا، و يعرّف بأنّه: «الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر: و يشمل ذلك زمن المحادثة و مكانها و العلاقة بين المتحدثين و القيم المشتركة بينهم و الكلام السابق للمحادثة»؛ أي أنّ سياق الموقف هو كلّ الظّروف الخارجيّة المحيطة بالمتكلّمين أثناء حدوث التّواصل بينهما.

و قد أشار اللّغويّون العرب قديما إلى سياق الموقف و سمّوه "المقام" و قالوا: «لكلّ مقام مقال».

**3-2-3- السّياق الثّقافيّ:**

يحدّد السّياق الثّقافيّ نوع المجتمع اللّغويّ الّذي تقال فيه الكلمة؛ و ذلك من حيث المهنة أو درجة الثّقافة أو اختلاف اللّهجات، فمثلا كلمة جذر تختلف من قطاع مهنيّ إلى آخر؛ فنجد أنّ عند الفلاح يختلف عن معناها عند اللّغويّ و يختلف عن معناها عند عالم الرّياضيّات.

و بناء على ما سبق يتّضح لنا أنّ "فيرث" درس المعنى انطلاقا من اعتباره أنّ دلالة الكلمة تتحدّد من خلال السّياق اللّغوي و السّياق غير الّغوي الذي تقع فيه. و يمكن توضيح النّظريّة السّياقيّة عند "فيرث" و أهمّ أركانها في التّسلسل الهرمي الآتي

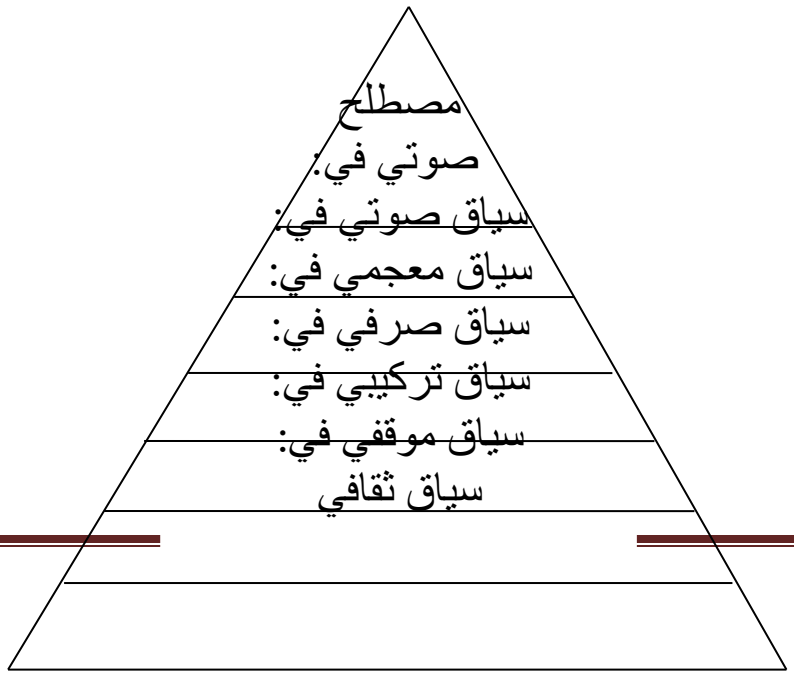

شكل رقم(05) يمثّل أهمّ أركان النّظريّة السّياقيّة ل "فيرث"

و نستخلص ممّا سبق أنّ "جون فيرث" من اللّسانيّين الوظيفيّين الّذين أدركوا الوظيفة التّواصليّة للّغة، واعتبروا أنّها أهمّ الوظائف على الإطلاق، و لذلك بنى دراساته الدّلاليّة انطلاقا من هذا المبدأ، مؤكّدا أنّ المعنى الحقيقي للكلمات و العبارات اللّغويّة لا يتحدّد إلاّ ضمن السّياق التّواصلي الذي ترد فيه.

- **خاتمة:**

إنّ أهمّ نتيجة نخلص إليها في نهاية هذا العرض الموجز حول الجهود اللّسانيّة ل "فيرث" و الّتي تمثّل المدرسة السّياقيّة، هي أنّ هذا اللّغويّ قدّم آراء لسانيّة قيّمة خاصّة فيما يتعلّق بتأكيده على أنّ دراسة اللّغة لا تتمّ بمعزل عن سياقها الوظيفيّ، و أيضا تأسيسه للنّظريّة السّياقيّة في علم الدّلالة الّتي تعدّمن أهمّ النّظريّات الدّلاليّة في دراسة المعنى.